(٣١)

"وهم التقى وزيف الصلاح"

سرق ونهب .. غدروقتل .. كذب وضحك. خان الأمانة وسنَّ القانون الذى يبرئه هو وأعوانه. تسللت إليه دموع المقهورين، فألقى عليهم نظرةً غير مبالية من عليائه، ثم أغمض عينيه.

قرعت أبوابه آهات المظلومين، فسمعها على مضض، ثم سدَّ أذنيه.

وعندما أغرقت الدماء شوارع المدينة، أمر حراسه أن يغلقوا عليه كل باب إلى أن تجف كل الدماء؛ ولكنَّ الدموع والآهات والدماء أضحت أجراسًا أسمعت أهل الأرض، وقرعت أبواب السماء.

أقنعهم بالاحتكام للقانون، وبسذاجة الجهلاء نسوا أنه هو الذى أمر وأشرف على وضع القانون، فخرج عليهم بعد أيام ليثبت لهم أنه بحكم القانون ما هو إلا ذلك البريء والمُفترى عليه ظلمًا وعدوانًا.

ابتسم بهدوء ثم عاد لقصره وجاهه بعد أن فقد بعضًا من سلطانه، وتناول الدواء ثم شكر الله وصلَّى ما اعتاد أن يصليه من ركعات وسجدات، ثم نام على سريره مثلما اعتاد أن ينام طوال ليالٍ طويلة وسنوات مديدة. وما أن استيقظ من نومه فى الصباح الباكر إلاَّ وقد قرَّر أن يمن على فقراء مجهولين بالقليل من أمواله حتى يريح ضميره تجاه كل الفقراء الذين كانوا يومًا ما رعيته وهو راعيهم. فأنفق واستمر فى الإنفاق إلى أن مات تاركًا القصر والجاه والأموال، ومفارقًا حتى لهواه الذى زيَّن له عمله فرآه حسنًا طوال حياته.